

## الفصل الحادي عشر

### الفية المساواة (١)

#### ملاحظات هامشية على ثورة الفلاحين الانكليز

متى توقف الناس ( ص ١٩٨ ) عن التفكير حول مجتمع بلا تميز في المنزلة أو الغنى ببساطة كعصر ذهبي ضاع بلا عودة في الماضي البعيد ، وبدأوا في التفكير فيه بدلا من ذلك على أنه أمر مقدر الوقوع ، في المستقبل القريب ؟ الى الحد الذي يمكن الحكم عليه من المصادر المتاحة ، جاءت هذه الاسطورة الاجتماعية الجديدة الى الوجود في سنوات الفوضى حوالي ١٣٨٠ ، وربما اخذت شكلها في البداية في مدن فلاندرز وشمال فرنسا ، التي اكتسحتها في ذلك الوقت موجة من العنف العصياني ، ولكن مع أن هذا كان قد اوحى به احيانا فإنه مايزال يتطلب الاثبات ، ومن جانب اخر عندما يتفحص المرء في الحوليات التي تعالج ثورة الفلاحين الانكليز في ١٣٨١ ، الاقوال المنسوبة الى جون بول الشهير يجد المرء الاسطورة - على غير توقع ولكن بشكل جلي - تحت السطح تماما .

ولم يكن معظم العصاة متأثرين بشكل يمكن تقديره بالاسطورة ، بل يبدو ان معظم الفلاحين وحرفيي المدن الذين كانوا يؤيدونهم كانوا حصرا تقريبا معنيين باهداف واقعية محدودة ، وفي ذلك الوقت كانت الرابطة بين السيد وفلاحيه قد فقدت كل خاصية ابوية يمكن أن تكون قد اكتسبتها مرة ، ولم ير الفلاحون سببا لكي يقدموا الفروض الثقيلة والخدمات الى سيد لم يعد حاميا لهم ، علاوة على ذلك أفساد الناس منذ قيام الموت الاسود من نقص العمالة كثيرا وإن يكن بدرجة كانت اقل مما كانوا يحبون . وقد استشاط غضب الفلاحين

والحرفيين على السواء طويلا تحت القيود القانونية ، وأبرزها تلك التي تجسدت في التشريعات العمالية ، التي منعتهم من الاستثمار الكامل لوضعهم الاقتصادي ، وتفاقم عدم الرضى الناجم عن المظالم القائمة بسبب سوء ادارة الحرب الفرنسية وفرض جزية استثنائية مرهقة ، ومع ذلك انه مهما كانت مشاعر عامة الناس بالغضب والاستياء ، فان الثورة عندما تفجرت كانت اهدافها ماتزال عملية صرفة ، ويعكس صك الحرية الذي منحه الملك في مايل إند ( والغبي فيما بعد ) هذه الاهداف ( ص ١٩٩ ) بدقة كافية ، لضمان استبدال الفروض المزرعية بايجارات نقدية ، واحلال العمل المأجور مكان السخرة الجزئية ، ورفع القيود عن البيع والشراء الحر ، وفي هذا البرنامج ليس هنالك أي شيء بالمررة يشير الى حدوث معجزة وشبكة تعيد حالة المساواة في الطبيعية ، ولكن هذا لايعني القول أن لاشيء من هذه الخيالات لم يكن من الفكر في اي مكان بين العصاة .

وفي فقرة شهيرة أعطى فروا سارت مايفترض أنه كان موعظة نمونجية لجون بول :

« واذا كنا قد تحدثنا كلنا من أب واحد وأم واحدة ، آدم وحواء ، كيف يمكن للسلادة أن يقولوا أو يثبتوا أنهم أكثر سيادة منا ، سوى أنهم يجعلوننا نحفر ونفلق الأرض حتى يمكنهم أن يبددوا ما ننتجه ؟ إنهم يلبسون المخمل والساتان ويتجملون بفراء السنجاب ، في حين أننا نرتدي أرخص القماش ، إن لديهم الخمور والتوابل والخبز النقي ولنا الخشمار فقط ، والدقيق التالف والقش ، والماء فقط للشرب ، ولديهم المساكن الجميلة والضياع ، ولدينا الشقاء والعمل دائما في الحقول تحت المطر والثلج ، ولكنه منا ومن كدنا يأتي كل شيء يحفظون به أبهتهم» .

ومن أجل هذه الاوضاع وصف الواعظ علاجا قاسيا بقوله :  
أيها الناس الطيبون ، إن الأمور لايمكن أن تسير سيرا حسنا في انكلترا ولن تفعل أبدا حتى يصبح كل شيء مشتركا ، وأن لا يكون هناك مسخر ولا سيد ، بل كلنا في حالة واحدة »

ويروي المؤرخ الإنكليزي توماس ولستغام راهب القديس البانز نص الموعظة التي يقال إن بول قد وعظ بها الثوار الذين أحتمشوا في بلاك هيث في نص كان بالفعل في حينه مثلاً تقليدياً وبقي شهيراً حتى هذا اليوم :

عندما حفر آدم وغزلت حواء من كان عندئذ سيديا ؟

ونقلا عن ولستغام ، كانت حجج بول هي انه في البداية كانت كل الكائنات البشرية مخلوقات حرة متساوية ، ولكن الناس الاشرار بالقمع الظالم ، قد ادخلوا العبودية ، ضد ارادة الرب ، والان هذا هو الوقت الذي جدده الرب ، حيث يمكن للناس العوام فقط اذا شاءوا ، ان يطرحوا النير الذي حملوه كل هذا الزمان الطويل ، وأن يكسبوا الحرية التي تاقوا اليها دائماً ، وعليه يجب ان يكونوا نوي القلوب الطيبة ، وأن يرشدوا انفسهم كالمزارع الحكيم في الكتب المقدسة ، الذي جمع القمح في مخازنه ، ولكنه استاصل واحرق البيقية التي كادت تخنق الحبوب الجيدة ، لان موسم الحصاد قد جاء ، لقد كانت البيقية هي السادة الكبار ، والقضاة والمحامون ، إن كل هؤلاء يجب ابادتهم ، وهكذا يجب اباده كل شخص آخر قد يكون خطرا على المجتمع في المستقبل ، وما أن يستاصل الكبار حتى سيتمتع الناس جميعاً ( ص ٢٠٠ ) بحرية متساوية ، ومنزلة وقوة .

ومع انه لا توجد طريقة لمعرفة إذا كانت مواعظ مثل هذه قد القيت فعلاً من قبل جون بول ، فان هناك كل الاسباب للاعتقاد بأن التي تزخر بها كانت في الواقع منتشرة في وقت الثورة ، و كان مذهب دولة المساواة الطبيعية الابتدائية مألوفاً بالتأكيد بدرجة كافية في انكلترا ، و في الحواربين دايفنز و بوبر الذي كتب في العقد الأول من القرن الرابع عشر الرابع عشر نقراً أنه بموجب قانون كند (أي الطبيعة) والربة لاو كل شيء اشترك ؟« ويصيب السهم مرماه عند الاشارة

إلى المراجع الأصلية إلى الرسالة الخامسة المزيفة لكليمنت والمادة الرابعة ، وقد استشهد الوعاظ الاصوليين تماما بالقدیس امبروز للمعتقد نفسه : « لقد خلقت الارض لتكون مشاعا للجميع ، الغني والفقير ، فلماذا ايها الاغنياء تدعون حقا كاملا فيها ؟ كند لايعرف ثروات تسبب الفقر لكل الناس....» وفي مظهر اكاديمي نوقشت الفكرة نفسها ، من قبل واكلف في رسالة « الملكة المدنية » التي الفها في اكسفورد في ١٣٧٤ ، وفيها جرى الجدل بأن الاحتفاظ بالسيادة من قبل الاشرار هو اغتصاب محض ، وتعارض مع المبادئ الاولى للقانون وتناقض مع الهدف الالهي ، حيث سيحصل الرجل الصالح الذي تخلى عن السيادة وهجرها اكراما للمسيح في المقابل على السيادة الكاملة على العالم ، الامر لم يحدث ان تمتع به من قبل حتى اباؤنا الاوائل قبل السقوط ومضى واكلف ليقدم انطباعه المخالف حول الموضوع الذي صور من قبل عدد كبير جدا من العلماء منذ ايام غراتيان :

« اولاً لان كل الاشياء الطيبة التي خلقها الله يجب ان تكون مشاعا ، وبرهان ذلك كما يلي : ان كل انسان يجب ان يكون في حالة النعمة ، فاذا كان في حالة النعمة سيكون سيد العالم وكل ما فيه ، وعليه فان كل انسان يجب ان يكون سيذا للعالم كله ، ولكن بسبب الحشود الكبيرة من الناس ، لن يحدث هذا اذا لم يشترك الجميع في ملكية كل شيء : وعليه يجب ان يكون كل شيء مشاعا »

ولم يقصد واكلف بالطبع ابدا ان تطبق هذه النظرية في الممارسة على المجتمع المدني ، لقد نطق بذلك مرة ، ومرة فقط ، وهذه المرة باللاتينية ، وحتى في حينه فانه قد قيدها باضافة انه في الحياة العملية يجب ان يقبل الصالح بعدم المساواة وعدم العدل ويترك الاشرار يملكون المال والسلطة ، وفي هجومه على الغنى والدينونة لدى الاكليروس كان واكلف في تلهث قاتل ، وتعليقاته هذه على الملكية المشتركة لكل الاشياء كانت اكثر قليلا من تمرين في المنطق المنهجي ومع ذلك عندما تجرد من اطارها العلمي وتنزع عنها

العبارات المقيدة نجد ان هذه التعليقات نفسها بالكاد يمكن تمييزها عن الفوضوية الصوفية للروح الحرة ، وسيكون مدهشا إن لم يوجد بين اسراب ( ص ٢٠١ ) الدارسين من كل الانواع والطبقات الذين احشدوا في أكسفورد من لم ينتش من مثل هذه الافكار وينشرها في الخارج ، مبسطة في صورة شعارات دعائية ، وفي الواقع إن الانفلاند نكر وهو يكتب عن غد الثورة الكبرى في «ركائز الحراث» ، كيف ان التاملات المتعلقة بحالة الطبيعة قد تسربت من الجامعات إلى عامة الناس وبأي أثر :

«لقد سمع انفي هذا وناشد الاخوة الذهاب الى المدرسة ، ودراسة المنطق والقانون ، والتأمل ايضا ، وأن يعظوا الناس بأفكار افلاطون وأن يثبتوها بأقوال سينكا في أن كل الاشياء التي تحت السماء ، يجب ان تكون مشاعا ، ويكذب - مادمت حيا - كل من يعظ غير المتعلمين هكذا ، لان الله أوجد للناس شريعة علمها موسى : عليك الا تشتهي شيئا مما يخص جارك »

ومع ذلك إن تخيلات حالة المساواة الطبيعية في تاريخها الطويل لم تعمل مطلقا كاسطورة اجتماعية محرقة ، ولم تكن لتفعل ذلك الان لو انها لم تتعزز بالنقد الاجتماعي من النوع الاكثر شخصية وانفعالية ، وفي مسحة الساحر لمواعظ العصور الوسطى بين المرحوم الاستاذ غ . ر . اوست كيف ان حتى اكثر الوعاظ اصولية مع انهم انتقدوا بشدة خطايا كل طبقات المجتمع ، إنهم مع ذلك احتفظوا بأكثر ندهم قسوة للاغنياء والاقوياء ، ومن الاهمية بشكل خاص تفسير الحساب الاخير على أنه يوم الانتقام للفقراء ، وهو تفسير تطور واصبح اكثر تعقيدا منذ القرن الثالث عشر ومابعده واعطى أسلوبا تعبيريا بارعا من قبل رئيس جامعة كمبردج ، جون بروميارد في دليله للوعاظ ، ولسوف يعطي النص التالي من ملخص وترجمه اوست فكرة ما عن القوة العاطفية لحجج بروميارد :

« على اليسار ، امام عرش القاضي الاعلى ، يقف السادة القساة ، الذين نهبوا شعب الرب بغرامات ظالمة ، وبالعقوبات

والاغتصاب والابتزاز... ورجال الاكبيروس الاشرار ؛ الذين اخفقوا في تغذية الفقراء ببضائع المسيح كما يجب ان يفعلوا ، والمرابون والتجار الزائفون.... الذين غشوا رعايا المسيح.... وبين الصالحين على اليمين العديد ممن ابتلوا وشوهوا وهيمن عليهم من نكروا من قبل من فاعلي الشر ، وعندها سيوجه المضطهدون اتهاما رهيبا الى مضطهديهم في الحفرة الالهية .

وبجراحة سيكونوا قادرين على وضع شكواهم امام الرب ويلتمسون العدل ، ويتكلمون مع القاضي المسيح ويقص كل بدوره حكاية الاذى الذي عانوا منه بشكل خاص.... جهدنا وسلعنا.... التي اخذوها ليشبعوا جشعهم لقد ابتلونا بالجوع والشقاء ، حتى يمكنهم ان يعيشوا بنعومة على شقائنا ( ص ١٠٢ ) وسلعنا ، لقد كدحنا وعشنا حياة قاسية حتى اننا كنا نحصل بصعوبة على الكفاف نصف العام ، كفاف لاشيء معه الا الخبز والنخالة والماء ، ليس هذا فحسب بل الواقع ان هناك ما هو اسوأ لقد كنا نموت من الجوع ، لقد كان يقدم لهم ثلاث وجبات او اربع من البضائع التي اخذوها منا .... لقد جعنا وعطشنا وابتلينا بالبرد والعري ، ولم يعد هؤلاء اللصوص الينا بضائعنا عندما كنا بحاجة ، كما انهم لم يطعموننا او يكسوننا منهم ، بل كانوا يطعمون كلابهم وخيولهم وقردتهم والاغنياء والاقوياء واصحاب الوفرة والنهمين والسكيرين وعاهراتهم ويلبسونهم ويلبسون معهم ، ويتركوننا نفنى ونهزل من العوز والحاجة....

ايها الرب العادل ، القاضي القادر ، لم يكن موزعا بالعدل بيننا وبينهم ، لقد كان شبعهم من جوعنا ، ومرحهم من بؤسنا وتنافسهم وتباريهم كان في تعذيبنا .... واعيادهم ، وبهجتهم ، وابهتتهم وخيلائهم وانغماسهم في الشراب وفيضهم من صيامنا وعقوباتنا وحاجتنا وكوارثنا وسلبهم لنا ، واغاني الحب والضحك في رقصهم كانت سخرية منا واستهزاء بنا وبتأوهاتنا واحتجاجاتنا ، لقد

اعتادوا الغناء : حسنا كفاية ، حسنا كفاية - ونتأوه نحن : الويل لنا ! الويل لنا ! ....»

وأضاف بروميارد : « بلا شك سيحقق القاضي العادل العدل لأولئك المطالبين الصاخبين هكذا ، ورهيب سيكون اتهام الخاطئين ، وسيكون كذلك مصير الطغاة والعديد ممن يدعون هنا على الارض بالنبلاء ، ستحمر وجوههم خجلا من العار أمام مقعد الحساب .... »

ولا حاجة للقول إن هدف هذه الموعظة لم يكن الحض على الثورة ، وعندما كانت توجه للاغنياء كان يقصد بها النصح والتحذير للتعامل بالعدل والرحمة مع الفقراء وأن يقدموا الصدقات طوعا ، وعندما كانت توجه للفقراء لم يكن يقصد بها الاثارة بل على العكس التعزية والتهدئة ، ومع ذلك يمثل هذا التصوير ليوم الحساب الشكوى الكاملة من « الاذى » من « العظيم » - ويقدمها أيضا كجزء من الدراما الأخروية العظيمة وكل ما كان مطلوبا من أجل تحويل مثل هذه النبوءة إلى دعوة ثورية من نوع متفجر هو تقريب يوم الحساب ، وعدم اظهاره كحدث في مستقبل بعيد بلا حدود بل إنه بالفعل في متناول اليد ، وهذا بالضبط ما حدث في الموعظة التي نسبها ولينغهام إلى جون بول ولتقدير الأهمية الكاملة لتلك الموعظة على المرء فقط أن يتذكر القرينة التوراتية لحكاية القمح والبيقية ، وهي قرينة يمكن للمرء أن يكون واثقا أنها قد قفزت ، إلى فكر أي مستمع من القرون الوسطى ، لأنها كما فسرت من قبل المسيح للحواريين ، كانت القصة عبارة عن نبوءة أخروية تعالج الاختلافات الهائلة للأيام الأخيرة : (ص ٢٠٣ )

« إن ذلك الذي يبذر البذرة الطيبة هو ابن الإنسان ، والحقل هو العالم ، والبذرة الطيبة هي أطفال الملكة ، ولكن البيقية هي أطفال الشرير ، والعدو الذي بذرها هو الشيطان ، والحصاد هو نهاية العالم ، والحصادون هم الملائكة .

وبناء عليه كما تجمع البيقية وتحرق في النار ، فان هكذا سيكون في نهاية العالم ، سيرسل ابن الانسان ملائكته وسيجمعون من مملكته كل الاشياء التي تؤذي ، ومعهم الذين لا يحققون المساواة وسيلقون بهم في اتون من النار ، وسيكون عويل وصرير اسنان ، ثم يشع نور الصالحين كما تشرق الشمس ، في مملكة ابيهم . فليسمع من له اذان تسمع »

وباعلان ان النبوءة الان في لحظة التحقيق ، وان زمن الحصاد الذي حدده الرب قد حل اخيرا ، فان الموعدة في الواقع تدعو عامة الناس ، باعتبارهم اطفال المملكة ، لينفذوا القضاء على القوى الشريرة التي ستواكبهم في الالفية ، وفي تلك الالغاز المسجوعة المنسوبة إلى بول - لكن التي لاتقل عن المواعظ ويجب ان تعتبر في الواقع بدون مؤلف معين - والرمزية المستعملة في ركائز الحراث « كيفية لنقل الرسالة الثورية ، وهنا ايضا يمكن للمرء ان يتعرف على التوقع المتلف لمعركة اخيرة بين الفقراء الذين يرون كحشود الرب ، وبين خصومهم الذين يرون كحشود الشيطان ، وبهذه المعركة سيتطهر العالم من الخطيئة وخاصة من ذنوب مثل البخل والترف ، التي تنسب تقليديا للاغنياء وللسوف « يتحرر الصديق من تحت القفل » وسيعود الحب الصادق الذي كان طيبا جيدا سيعود الى العالم ، إنه فجر الالفية ، ولكنها الفية لن تكون فقط مملكة القديسين التي تنبأت بها الأخرويات التقليدية بل ايضا انعاشا لحالة المساواة الطبيعية البدائية ، وعصرا ذهبيا ثانيا ، واصرت الحكايات الرمزية أيضا على أن هذا قد قدر له أن يحدث الان وفي هذه اللحظة بالذات ذلك أن : « الرب يعوض ويثأر ، لأن الوقت قد حان » .

وكان الاعتقاد أن الثورات الفلاحية الثلاثة الكبيرة التي قامت في القرن الرابع عشر : الثورة في المناطق الساحلية من فلاندرزبين ١٢٢٣ و ١٢٢٨ ، وجاكويرية في ١٣٥٨ كانت كلها موجهة فقط نحو اهداف محدودة ذات طبيعة اجتماعية وسياسية

وفي الواقع إن هذا يبدو أقل صحة بالنسبة للثورة الانكليزية منه بالنسبة لاسلافها في القارة الاوروبية ، ومع انه هنا ايضا اثير اكثرية المتمردين ببساطة بسبب مظالم نوعية و المطالبة باصلاحات معينة ، يبدو مؤكدا ان الامال الالفية والطموحات لم تكن كلها مفقودة ، ومن وجهة نظر اجتماعية إن هذا غير مدهش بساي حال ، ففي الثورة الانكليزية شغل دور كبير بصورة استثنائية متميزة من قبل اعضاء المراتب الاكثروسيية الدنيا ، ( ص ٢٠٤ ) وخاصة من قبل المرتدين وغير النظاميين من طراز جون بول ، وكما رأينا كان مثل هؤلاء الرجال متلهفين دائما لادعاء دور الانبياء المهمين ، المكلفين بمهمة توجيه البشرية خلال مرحلة الاختلاجات المقدره للايام الاخيرة ، وفي الوقت نفسه من غرابية تلك الثورة إنها كانت تقريبا مدنية بقدر ما كانت ريفية ، ويبدو ان فلاحي كنت واسكس امنوا بطيبة الملك وبقدرته التامة فزحفوا نحو لندن ، وعندما وصلوا الى هناك ثار سكان المدينة ايضا ، وحالوا دون اقفال البوابات في وجه الحشود القادمة ثم ضموا قواتهم الى الثورة ، وغير هذا بالتاكيد خصائص الثورة ، وليس من شك في وجود سبب وجيه لما لاحظته فرويسات ان اشد اتباع بول حماسا كانوا موجودين بين اللنديين «الذين كانوا ينقمون على الاغنياء والنبلاء ويحسدونهم ، وبحلول ذلك التاريخ كان في لندن عالم سري مثل ذلك الذي وجد منذ زمن طويل في مدن فرنسا والمانيا والبلاد المنخفضة ، وكان قوام هذا العالم العمال المتجولون الذين منعوا من دخول النقابات وكانوا في الوقت نفسه ممنوعين من تكوين تنظيمات خاصة بهم ، والعمال غير المهرة والجنود المرهقين والفاريين ، وفانض السكان من المتسولين والعاطلين ، في الحقيقة وجد عالم سفلي كامل عاش في بؤس عظيم ، وكان بشكل دائم على حافة المجاعة ، وقد تضخم باستمرار بهرب رجال السخرة من الريف ، في وسط من هذا القبيل حيث اختلط المتنبون المتعصبون بالفقراء المشوشين اليائسين الذين كانوا يقفون عند اقصى حافة المجتمع ، بالذات كان هنالك على اي حال هيجان يهز كل البنية الاجتماعية ، وكان مقدر لهذا الهيجان أن يجعل ذاته مدركة بوساطة جائحة قوية ، وأن يفرز مضاعفات العنف البالغ ،

وهنا لابد أنه في الحقيقة قد لاح ان كل الاشياء كانت تتجدد ، وأن كل الامور المعتادة كانت تتحلل وكل الحواجز تنهار ، وهنا ايضا في الحقيقة يمكن من حيث المبدأ الاقتراح بأن التوقعات الالفية ، ربما كانت كامنة خلف كثير من الاثار الجانبية الاكثر اشارة للدهشة للثورة ، مثل : حرق قصر سافوى وتدمير كنوزه كلها من قبل اللندنيين الذين لم ياخذوا لأنفسهم شيئا منها ، وما هو اكثر بدها من المطالب غير العملية التي قدمت الى الملك في سميث فيلد ربما كان اقرار جاك سترو ( المفروض دائما أنه فعل ذلك حقا ) انه في النهاية لابد من قتل الاعيان وكل الاكليروس سوى بعض الرهبان المتسولين وابدانهم والخلاص منهم .

وبالتاكيد كانت حالة لابد من انه كان سهلا فيها بدرجة كافية اعلان وتصديق ان الطريق يمتد بكامل اتساعه لالفية مساواتية وحتى شيوعية ، وكانت هذه بالضبط حالة ستقوم مرة اخرى وعلى مدى اوسع بكثير عندها بعد اربعين سنة تفجرت ثورة الهوسيت في بوهيميا ( ص ٢٠٥ )

### الرؤيا النبوية الطابورية :

مع الغلبة السلافية في البنية العرقية واللغة ، كانت دولة بوهيميا لعدة قرون داخلية ضمن اطار الحضارة الاوروبية الغربية اكثر من الشرقية ، وكانت مسيحياتها لاتينية ولم تكن اغريقية ، وسياسيا شكلت جزءا من الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ووجدت مملكة بوهيمية دون انقطاع منذ نحو ١٢٠٠ وما بعدها ، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر وضع ملك بوهيميا ايضا التاج الالماني ثم الامبراطوري ، وفي ذلك الوقت كانت بوهيميا الحاضرة الرئيسة في الامبراطورية ومقر رئاسية الجامعة الاولى في براغ ، التي تاسست في ١٣٤٨ - ١٣٤٩ ، والتي هيمنت بفعالية على الحياة السياسية والثقافية في وسط اوربا ، وقد فقد هذا المركز في السنوات

الاولى من القرن الخامس عشر ، عندما خلع الملك البوهيمي  
ونسلاس الرابع عن العرش الامبراطوري ، وتوقفت الجامعة عن  
كونها دولية ، واصبحت تشيكية صرفة ، ولكن في تلك السنوات  
نفسها أصبحت بوهيميا مركزا لحركة دينية ذات قوة متفجرة حتى  
انها اثارت الاضطراب في كل اوربا عقود عدة من الزمن .

لم يكن هنالك جزء من اوربا يمكن ان تقوم فيه الانتقادات ضد  
الكنيسة باقتناع اكثر مما كان في بوهيميا ، ولقد كانت ثروة الكنيسة  
هناك هائلة ، حيث كان نصف مجموع الاراضي ملكا اكليروسيا ،  
وكثيرا من الكهنة وخاصة كبار الاساقفة كانوا يعيشون بشكل  
واضح حياة دنيوية ، بينما كانت الادارة البابوية تتدخل باستمرار في  
الشؤون الداخلية للبلاد ، وتستخرج منها ايضا ربحا ماليا عظيما ،  
وعلاوة على ذلك تعززت مرارة العامة المعتادة تجاه الاكليروس بقوة  
بالاحساس الوطني ، ومنذ القرن الثاني عشر كان في بوهيميا اقلية  
هامة من اصل الماني ، تتحدث الالمانية وتحفظ بتصميم  
بخصائصها الالمانية ، وكان هؤلاء الناس كثيرين بشكل خاص بين  
اعلى مراتب الاكليروس ، وانضمت شكاوى التشميك ضد  
الاكليروس إلى شكاواهم ضد الاقلية الغربية .

وفي ١٣٦٠ اكتسب زاهد اصلاحي يدعى جون ميليك أوف  
كروميريز نفوذا كبيرا في براغ ، وكان مهتما جدا بالمسيح الدجال ،  
الذي تخيله في البداية كفرد ، ولكن فيما بعد كفساد ضمن الكنيسة  
نفسها ، وحقيقة ان الكنيسة كانت واضحة الفساد وكانت تعني ان  
حكم المسيح الدجال قد بدأ ، وهذا كان يعني ان النهاية كانت  
وشيكة ، ولكن في الاستعداد للنهاية كان يجب قهر الدجال ، بمعنى  
ان الكهنة يجب ان يتعلموا العيش في فقر ، بينما العامة من جانبهم ،  
يجب ان يبتعدوا عن « الربسا » ( ص ٢٠٦ ) وكان هناك من هو  
حتى الاكثر نفوذا من ميليك وهو حواريه متى أوف جانوف الذي كان  
ناشطا حوالي ١٣٩٠ ، وهو ايضا كان مشغولا بفكرة المسيح  
الدجال ، وفسر مجازيا ان المقصود هو الذين كانوا يقدمون حسب

الذات والدنيا على حب المسيح ، وكان حتى اكثر من ميليك متأثرا بقوة هيمنة المسيح الدجال ، وفي نظره كان الوقت الراهن انذاك كليا تحت هيمنة المسيح الدجال ، ورأى في دنيوية الرهبان والكهنة ، وفوق كل شيء فضيحة الانشقاق الكبير ، برهانا عليه ، وبالطبع كان الانتصار الاخير للمسيح مضمونا ، ولكن كانت مهمة كل المسيحيين الحقيقيين ان يعدوا له ، ويمكنهم ان يفعلوا ذلك جزئيا بالعودة الى المفاهيم المعلنة في الانجيل وجزئيا بالقداس اليومي ، واصر على ان القربان المقدس كان الغذاء الروحي اللازم الذي لا مفر منه ويجب ان يتوفر كاملا وكثيرا للامة كما هو للكهنة ، وكان جسم المسيح الدجال يتألف من الكهنة الزائفين فوق كل شيء ، وتساءل لماذا يجب ان يتمتع اتباع المسيح الدجال هؤلاء بالصلة الحميمة جدا بالمسيح اكثر من معظم المسيحيين ؟ وفي فكر متى أوف جانوف كان للقربان المقدس المتسلم للمرة الاولى المكانة المركزية التي قدر له ان يشغلها فيما بعد في المعركة ككل .

واستمرت مطالب الاصلاح التي استهلت من قبل ميليك ومتى أوف جانوف بوساطة وعاظ. اخرين واثيرت اكثر بتعاليم ومثال ويكليف ، الذي كانت اعماله معروفة في بوهيميا منذ ١٣٨٠ وما بعدها ، ومع انقضاء القرن تولاها جون هوس و كان نفسه معجبا ومتحمسا لويكليف - الذي عبر عنها بشكل فعال الى حد ان اهمية الحركة توقفت عن ان تكون مجرد محلية واصبحت باتساع النصرانية اللاتينية ، ومثل أسلافه ، كان هوس واعظا شعبيا كان موضوعه المفضل فساد ودنيوية الاكليروس ، ولكن جمعا غير عادي من المواهب جعلت منه فجاقا رئيسا للجامعة وزعيما روحيا لامة الناس والشخصية ذات النفوذ في البلاط ، وهذا اعطى احتجاجاته وزنا كبيرا ،

وقد حمل احتجاجاته ايضا الى مدى أبعد من كل من تقدمه ، حيث انه عندما ارسل البابا جون الثالث والعشرين مبعوثيه الى براغ للوعظ بحملة صليبية ضد عدوه السياسي ، ملك نابولي ، وبمنح

الغفران لكل من أسهم بالمال في هذه القضية ، ثار هوس ضد الأوامر البابوية ، ومثل ويكلف قبله أعلن أنه عندما تقف القرارات البابوية في مواجهة شريعة المسيح التي عبرت عنها الكتب المقدسة يجب على المؤمن أن لا يطيعها ، وشن ضد بيع الغفران حملة أثارت قلقا على اتساع الأمة ( ص ٢٠٧ ) .

و يكن هوس أبدا متطرفا أو ثائرا ، وكان الذي أزعج هوس واثاره ببساطة رفض الطاعة العمياء للمراتب الكهنوتية الأعلى منه ، ولكن هذا كان كافيا كي يكلفه حياته . وبحرمانه في ١٤١٢ ، استدعى في ١٤١٤ للمثول أمام المجمع المسكوني الذي اجتمع في حينه في كونستانس . وباعتماده بحمق على صك أمان من الامبراطور سيغسموند استجاب للاستدعاء ، وكان هدفه أن يقنع المجمع بالجدل أن الكنيسة كانت حقا بحاجة الى اصلاح جذري ، وعندئذ اعتقل ، وبرفضه الارتداد أحرق كمهرطق ، وكان لب « هرطقته » ادعاؤه أن البابوية لم تكن مؤسسة الهية بل بشرية ، وليس البابا بل المسيح هو الرأس الحقيقي للكنيسة ، وأن البابا غير الجدير يجب خلعه ، ومن التناقض بدرجة كافية ، أن المجمع الذي أدانه كان هو نفسه قد خلع لتوه البابا جون الثالث والعشرين بسبب بيع المراتب الكهنوتية ، والقتل واللواط والزنا .

وحولت اخبار اعدام هوس القلق في بوهيميا الى اصلاح وطني ، وللمرة الأولى - وقبل لوثر بقرن كامل - تحدث أمة سلطة الكنيسة كما هي ممثلة في البابا والمجمع ، وخلال سنوات ١٤١٥ - ١٤١٨ قام الاصلاح في كل بوهيميا بموافقة ودعم بارونات التشيك الكبار والملك ونسب سلاس ، واستبدلت بالفعل المراتب الكنسية الموجودة على نطاق واسع بكنيسة وطنية لم تعد تحت سلطة روما بل كانت تحسب رعاية السلطات المدنية في بوهيميا ، وفي الوقت نفسه ، وبناء على الحاح تابع سالف لهوس هوجاكوبيك أوف ستريبرو ، تقرر أنه من حينه فصاعدا على العامة

ان يتناولوا القربان المقدس على نوعين بدلا من - كما اصبحت شائعا خلال القسم الأخير من العصور الوسطى - تلقي الخبز فقط وكانت هذه تغييرات بعيدة الأثر ، ولكنها في ذاتها لم تكن تبلغ حد القطيعة الرسمية مع كنيسة روما ، وعلى العكس ، لقد فهمت على أنها اصلاحات من أجلها كان يؤمل في كسب الكنيسة ككل ، ولو أن روما أو مجمع كونستانس تعاونوا في هذا البرنامج ، لرضيت النبالة التشيكية واساتذة الجامعة والعديد من الناس العاديين ، ولكن هذا لم يكن ، وفي ١٤١٩ عكس الملك ونسبلاس تحت ضغط من الامبراطور سيغيسموند ( أخوه ) ومن البابا مارتن الخامس سياسته وتخلي عن القضية الهوسية ، وحظرت الدعوة الهوسية ، وحتى المناولة المزدوجة من كلا النوعين نظر اليها بنفور ، وفي الجزء من براغ الذي عرف بالمدينة الجديدة اصبحت عامة الناس بوحى من الراهب السالف والهوسيني المتحمس الذي يدعى جون زلنسكي متمللا ضميرا بشكل متزايد وعندما ابعده ونسلاس في تموز ١٤١٩ كل أعضاء المجلس البلدي من الهوسيت من حكومة المدينة الجديدة هب الشعب وعصف بدار البلدية والقوا بالأعضاء الجدد من النواقد.

وقوت المحاولة المخففة لكبح الحركة الهوسية بدرجة كبيرة الميول المتطرفة بداخل الحركة ، إذ أنه منذ البداية كانت الحركة تضم اناسا كانت اهدافهم تمضي الى مدى بعيد وراء اهداف النبالة أو اساتذة الجامعة ، وكانت الأغلبية الكبيرة من هؤلاء المتطرفين تنتمي الى الطبقات الاجتماعية الأدنى ، وكانت تضم النساجين وعمال النسيج الآخرين ، والخياطين وعمال مخامر البيرة والحدادين ، وفي الحقيقة كل الشغيلة في كثير من الحرف ، والدور الذي شغله هؤلاء الناس كان مذهلا حتى أن الجدليين الكاثوليك أمكنهم الادعاء بأن الحركة الهوسية كانت منذ البداية الأولى تمويل من قبل نقابات الحرفيين ، وربما كان الاصدق القول بأن الهيجان العام في بوهيميا قد شجع على القلق الاجتماعي بين الحرفيين وكانت هذه بشكل خاص الحالة في براغ.

وفي الناحية الاقتصادية الحسنة تماما ، كان الحرفيون في العاصمة بعيدين عن كل تأثير على الادارة المحلية ، التي كانت كليا في ايدي العائلات النبيلة الكبيرة ، الأكثر عنفا في معاداتها للهوسية ، وكان العديد منها من الالمان ، وقد تحولت هذه الحالة فجأة مع بزوغ تموز ١٤١٩ ، وزاد نجاح التمرد بدرجة كبيرة من قوة النقابات ، واعطاها سلطة فعالة على الادارة ، وطرد الحرفيون اعدادا كبيرة من الكاثوليك ، واستولوا على بيوتهم وممتلكاتهم وكثير من وظائفهم ومزاياهم ، وعلاوة على ذلك صودرت الاديرة ونقلت ثرواتها الى مدينة براغ ، وهذه ايضا افادت الحرفيين وإن يكن بصورة غير مباشرة ، ومع أن المدينة الجديدة لم تعد تنعم بالمساواة تحت حكم النقابات كما كانت تحت حكم النبلاء فإن حقيقة أنها كانت تحت سيطرة الحرفيين جعل منها مركزا لنفوذ المتطرفين .

ولكن كانت النقابات هي التي نظمت ووجهت الحركة المتطرفة في براغ ، وكان معظم افراد الجمهور قادمين لا من بين الحرفيين المهرة بل من بين أدنى طبقات السكان من الحشود المتنافرة من عمال المياومة وغير المهرة ، والخدم المتعاقدين ، والمتسولين والعاشرات والمجرمين وحتى في أعلى درجات ازدهارها في القرن الرابع عشر كانت العاصمة ذات كثافة سكانية كبيرة من أشد الناس فقرا وسكان الأحياء الفقيرة ، ورات السنوات الثلاثون أو الأربعون التي سلفت على الثورة الهوسية زيادة كبيرة في أعداد مثل هؤلاء الناس وتدهورا في أحوالهم ، وفي ذلك الوقت كانت بوهيميا تعاني من زيادة السكان و كما كان دائما استمر تدفق فائض السكان من المناطق الريفية على المدن وعلى العاصمة بشكل خاص ، ولكن بوهيميا لم يكن لديها صناعة تصدير قادرة على امتصاص هؤلاء الناس ، حتى أن كثيرا منهم كانوا مجرد اضافة لتضخم أعداد العاطلين ، وحتى أولئك الذين كانوا يجدون نوعا من العمل الذي لا يتطلب مهارة كانوا ما يزالون في حالة يائسة ، حيث أنه في حين بقيت الأجور في مستوى فترة ١٣٨٠ ، كانت قيمة العمله ( ص ٢٠٩ ) مزعزعة بالتضخم وارتفعت الأسعار

بقسوة ، وبحلول ١٤٢٠ بدا أن الغالبية العظمى من سكان براغ الذي يتراوحون بين ثلاثين الف وأربعين يعيشون —ون — أو يموتون — على أجور لا تحقق الا الجوع ، وكان المدد الكبير للجناح المتطرف من الحركة الهوسية يأتي من هذه البروليتاريا المرهقة .

ووجد التطرف أيضا دعما كبيرا بين الفلاحين . وكان معظم سكان الريف قد اعتمدوا زمانا طويلا على السادة والا كليروس أو المدنيين الذين كانوا يملكون الأرض ولكن الى حد كبير بفضل نظام ملكية الأرض الذي أدخله المتمردون الألمان والذي انتشر بين الفلاحين التشيك لم يكن اعتماد الفلاح على سيده بأي حال مطلقا ، لقد كانت الأجور والفروض مثبتة بدقة ، وكانت الايجارات وراثية وعليه فقد وفرت كثيرا من الضمانات ، ومع ذلك فقد كانت الايجارات أحيانا تباع من قبل المستأجرين ، حتى أن العديد من الفلاحين كانوا يتمتعون بحرية معينة في الحركة ، وأعاقت زيادة السلطة الملكية في القرن الرابع عشر بدرجة أكبر استغلال النبالة لعامة الناس ، وأعطى قانون في ١٣٥٦ للفلاحين غير المستقلين الحق في مقاضاة ساداتهم أمام المحاكم المحلية ، وغضب النبلاء من هذه القيود ، ومع بداية القرن الخامس عشر بذل جهد مصمم لحرمان الفلاحين من حقوقهم التقليدية وإجبارهم على وضع من الاعتماد الكلي ، وبالتالي على القانون جرد كثير من الفلاحين تدريجيا من حقهم في توريث ما تحت أيديهم لورثتهم في حين أنهم هم أنفسهم كانوا مقيدين بدرجة أشد بالأرض وتزايدت فروضهم وخدماتهم . ويبدو أنه في وقت هيجان الهوسية كان الفلاحون البوهيميون يدركون بصعوبة أن وضعهم كان مهددا ، وعلاوة على ذلك ففي الريف أيضا كانت توجد طبقة ليس لديها ما تفقده ومن: عمال بلا أرض ، وأيدي عاملة زراعية ، والعديد من أعضاء فئات السكان التي لا يمكنها أن تؤوى لا في المدن ولا في الأرض وكان كل هؤلاء الناس أكثر من مستعدين لتأييد أي حركة بدا أنها يحتمل أن تجلب لهم العون والفرج .

ومن ١٤١٩ وما بعدها بدأ الجناح المتطرف للحركة الهوسية في الانفصال عن الجناح الأكثر محافظة ، وأخذ يتطور على مسارات خاصة به . وفي مواجهة سياسة الاضطهاد الجديدة للملك ونسسلاس بدأ عدد من الكهنة الأصوليين بتنظيم اجتماعات للصلاة خارج نظام الأبرشية ، على مختلف قمم التلال في جنوب بوهيميا ، وهناك كانوا يقدمون القربان بنوعيه ويعظون ضد اساءات كنيسة روما ، وسرعان ما تحولت اجتماعات الصلاة الى مستوطنات دائمة حيث كانت الحياة تقليدا واعيا للمجتمع المسيحي الأصلي كما صورته العهد الجديد ، وشكلت هذه الجماعات معا مجتمعا جنينيا كان بكامله خارج النظام الاقطاعي ( ص ٢١٠ ) وكان يحاول تنظيم شؤونه على قاعدة المحبة الأخوية بدلا من القوة ، وكان أهم هذه المستوطنات على تل قرب قلعة بيكينيه على نهر لوزنيكا ، والأمر الذي له دلالة أن البقعة قد أعيدت تسميتها « بجبل طابور » ، حيث أنه حسب تقليد يعود الى القرن الرابع ، كان طابور اسم الجبل حيث تنبأ المسيح بمجيئه الثاني ( مرقص ١٣ ) ومن حيث صعد الى السماء والى حيث كان يتوقع عودته للظهور بجلال ، وسرعان ما ارتبط هذا الاسم بكل ما انطوى عليه من أنغام أخروية بالهوسية المتطرفين أنفسهم ، وكانوا معروفين من قبل لدى معاصريهم بالطابوريين ، كما هم بالنسبة للمؤرخين اليوم .

وبالكاد وجد برنامج موحد للطابوريين ، لأن طموحاتهم كانت متنوعة ومشوشة وقد أثار هؤلاء الناس عداوة وطنية واجتماعية إضافة الى الدينية ، وحقيقة أن معظم التجار الناجحين في المدن لم يكونوا فقط كاثوليك مخلصين بل أيضا المان ، والاعتقاد واسع الانتشار - مع أنه خاطيء - أن الاقطاع والرق كانا مؤسستان المانيتان مميزتان - لقد كانت هذه الأشياء تعني أن الطابوريين كانوا أكثر حماسا في معاداتهم للألمان من الاوتراكيست (كما كان الهوسية يدعون الأكثر اعتدالا) ولكن فوق كل شيء لقد رفضوا مطلقا كنيسة روما ، في حين أن الاوتراكيست تمسكوا في كثير من النواحي

بالمذهب الكاثوليكي التقليدي ، لقد أكد الطابوريون حق كل فرد من العامة اضافة الى الكهنة في تفسير الكتب المقدسة وفق معرفته وامكانياته ، ورفض العديد من الطابوريين عقيدة المطهر وانصرفوا عن الصلوات وقداس الجناز للموتى على انها خرافات لا طائل منها ، ولم يروا شيئا يستحق التكريم في الآثار المقدسة او صور القديسين ، وعاملوا كثيرا من شعائر الكنيسة بالازدراء ، ورفضوا ايضا أداء القسم واحتجوا على قاذون العقوبة القصوى ( الاعدام ) وما هو اهم من كل شيء اصرروا على انه لا شيء يجب عده مادة للعقيدة مالم يؤكد بجلاء في الكتابات المقدسة .

كل هذا يذكر بمهرطقي القرون السالفة وبشكل خاص تلك الطوائف التي درست الانجيل مثل: الوالد نسيان والفودي الذين كانوا في الحقيقة ناشطين جدا بين الطبقات الأكثر فقرا من بوهيميا ، ولكن هناك ايضا في بوهيميا منذ امد طويل كما كان في أجزاء أخرى من أوروبا ، ميول الفية كانت بعيدة عن الانشقاق الواقعي للوالد نسيان بقدر ما كانت بعيدة عن الكاثوليكية الاصولية ، وفي ايام الموت الأسود ومواكب اللطامين الحاشدة تذبأ - المحكم الروماني - المتنبى رينزو في براغ بأن عصرا من السلام والوئام والعدل - نظام فردوسي حقيقي - كان على وشك أن يفتتح ، ولقد عاش جون ميليك والمصلحون الذين تلوه في توقع مستمر للمجىء الثاني، في حين أنه قرب نهاية القرن الرابع عشر ظهرت في بوهيميا طوائف الفية كانت متأثرة بمذهب الروح الحرة ، وقد تعززت التوقعات الالفية بقوة حوت حوالي اربعين رجلا من البيكارتي وصلوا الى براغ من الخارج في ١٤١٨ . ومن المحتمل أن البيكارتي ربما كان المقصود بهم مجرد البيغرد ، ولكن الأكثر احتمالا أن المقصود كان البيكاردي ، وأن أولئك الناس كانوا هاربيين من الاضطهاد الذي كان في ذلك الوقت في ليل وتوناي ، وعلى أي حال يبدو أنه كانت له علاقات وثيقة مع أتباع الروح الحرة من طليعة أهل الفكر الحر في بروكسل ، لقد شجبوا بشدة الاساقفة الذين اغفلوا عن عمد وصية المسيح بالفقر المطلق ويستغلون الفقراء حتى

يتمكنوا من العيش في ترف وفي فسق وملذات ، واعتقدوا أنهم هم أنفسهم من جانب آخر كانوا أوعية للروح القدس ويملكون معرفة كاملة بقدر ما كان للحواريين ، إن لم يكن للمسيح ، وحيث أنهم كانوا يعتقدون أن كنيسة روما هي بغي بابل وأن البابا هو المسيح الدجال فمن الواضح أنهم شعروا أنهم يعيشون الفترة التي تتقدم الألفية أو ربما - مثل طليعة أهل الفكر الحر - للعصر الثالث والأخير.

وفي البداية كانت الميول الوالد نسيانية سائدة متحكمة بين الطابوريين خلال القسم الأعظم من ١٤١٩ ، وكان الطابوريون يهدفون الى إصلاح وطني و هو خلافا لاصلاح الهوسية الاصيليين ، شمل قطيعة كلية مع روما ، وكان يتوجب ان تتوافق الحياة الدينية بناء على ذلك ، والى حد ما الحياة الاجتماعية في بوهيميا ، مع المثل الوالد نسيانية للفقر الرسولي والطهارة الخلقية ، وفي تشرين أول ومرة أخرى في تشرين الثاني اجتمع الطابوريون من كل انحاء بوهيميا في براغ ، حيث حاول القادة المتطرفون كسب الحكام من الهوسية واساتذة الجامعة لبرنامجهم وطبيعي أنهم أخفقوا وسرعان ما وجدوا أنفسهم في مواجهة معارضة أشد قسوة بكثير مما سماوموا عليه ، وتوفي الملك ونسسلاس في أب ، بسبب صدمته بقتل المستشارين وانضم كبار النبلاء من الهوسية الى زملائهم من الكاثوليك لتأمين الخلافة لأخي ونسسلاس الامبراطور سيغسموند وايضا لاحباط خطط المتطرفين ، وسرعان ما القى قضاة براغ ثقلهم في الجانب المحافظ ، واتفق الجميع على أن يبقى قربان النوعين ، ولكنهم اتفوا ايضا ، بشكل مؤكد ، على أن الطابوريين يجب كبجهم ، ولفترة عدة شهور بدأ في تشرين الثاني ١٤١٩ ، عزل الطابوريين في كل انحاء بوهيميا عن الحركة الوطنية ، وتعرضوا لأضطهاد وحشي رعى الى القضاء عليهم. وفي الوقت نفسه ، كما كان متوقعا أخذت التخيلات الرؤوية والألفية منحا حركيا نشيطا جديدا . و بدأ عدد من الكهنة ، السالفين بقيادة واحد يدعى مارتن هسكا ، و يعرف ايضا باسم لوكويس ( ص ٢١١ ) بسبب بلاغته فوق

العادية ، بالوعظ علنا بمجنيء التحقق العظيم ، معلنين أن الوقت حان لابطال كل الشر و التحضير للألفية ، وبين ١٠ و ١٤ شباط ١٤٢٠ تنبأوا بأن كل مدينة وقرية ستدمر بالنار مثل سدوم وفي كل النصرانية سيحل غضب الرب بكل من لم يهرب فورا الى « الجبال » التي حددت بالمدين الخمسة في بوهيميا ، والتي أصبحت معاقل للطابوريين وسمعت الرسالة وأثارت في أدنى الطبقات الاجتماعية حماسا عظيما ، وباع العديد من الناس الفقراء امتعتهم ، ومع رحيلهم الى تلك المدن مع زوجاتهم وأطفالهم ، القوا بأموالهم عند أقدام الواعظين .

ورأى هؤلاء الناس في انفسهم انهم يدخلون في الصراع الأخير مع المسيح الدجال وحشوده ، ويظهر هذا بوضوح من رسالة بتوحة وزعت في ذلك الوقت كان مما جاء فيها « يوجد خمس من هذه المدن ، وهي لن تدخل في اتفاق مع المسيح الدجال او تستسلم له ، ورددت أغنية طابورية عاصرت الأحداث الفكرة ايضا: « المؤمنون يبتهجون بالرب! ويقدمون له التمجيد والحمد لأنه شاء أن يحفظنا وبكرمه ولطفه حررنا من المسيح الدجال الشرير وجيشه الخبيث ... »

وفي البلايا التي كانت تحل بهم عرف الالفيون « الويلات المسيحية » التي طال توقعها وأعطاهم الايمان رغبة جديدة في النضال ولعدم الرضى بانتظار دمار من لارب لهم بمعجزة ، دعا الوعاظ المؤمنين لتنفيذ التطهير اللازم للأرض بأنفسهم وكتب واحد منهم وهو خريج جامعة براغ ويدعى جون كابك رسالة قيل انها «أكثر امتلاء بالدم مما تمتلئ بركة بالماء » وفيها صور بمساعدة اقتباسات من العهد القديم انه كان الواجب الذي لامفر منه للنبذة أن يقتلوا باسم الرب ، وقد أفادت هذه الرسالة كهجوم مسلح للوعاظ الآخرين الذين استخدموا حججها لاقتناع سامعيهم بالقيام بالمنذبة ، واصلوا : « ينبغي عدم اظهار الرافة مطلقا تجاه المذنبين لأنه كل المذنبين كانوا أعداء المسيح وملعون ذلك الانسان

الذي يمسك سيفه عن سيفك دم أعداء المسيح ، وينبغي على كل مؤمن ان يغسل يديه في هذا الدم « وانضم الوعاظ انفسهم بلهفة الى القتل لأنه « كل كاهن يجب ان يسعى بحق لجرح المذنبين وقتلهم »

وشملت الذنوب التي يجب معاقبتها بالقتل مسببات القلق القديمة للفقراء « البخل والترف » وايضا وفوق كل شيء شملت كل معارضة لارادة « رجال القانون الالهي » وفي عيون الطابوريين المتطرفين كان كل خصومهم مذنبين ويجب ابادتهم ، والادلة على هذا التعطش للدماء لم تأت كلها بأي وسيلة من مصادر معادية ، ولاحظ بيتر شيلكسكى Peter chelcicky وهو من الطابوريين ، كان قد مال الى هجر مظهره الوالد نسياني المسالم وهو التغيير الذي اصاب العبيد من زملائه وتفجع من اجله وبين ان الشياطين قد اغواهم ليظنوا انفسهم من الملائكة الذين يتوجب (ص ٢١٣ ) عليهم تطهير دنيا المسيح من كل الفسائح والذين قدر لهم محاسبة العالم ، الامر الذي اقترفوا بقوته كثيرا من القتل وافقروا العبيد من الناس».



١- قصة المسيح الدجال ؛ الى اليسار المسيح الدجال يعظ بالهام  
من الشيطان ، في حين على اليمين « الشاهدان » اينوخ واليجسا  
يعضان جنده ، وفي الأعلى المسيح الدجال مدعوما بالشياطين يحاول  
الطيران وبذلك يظهر انه الرب في حين يستعد احد الملائكة الرئيسين  
لضربه واسقاطه ،

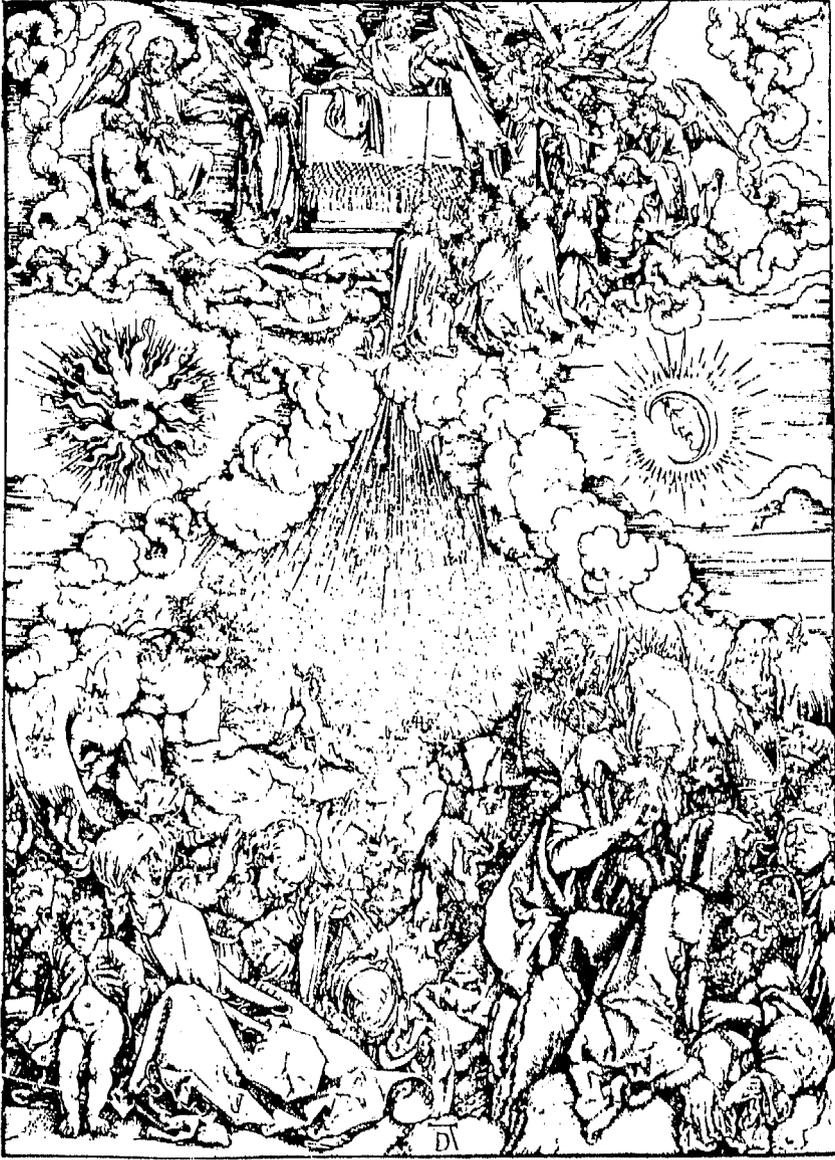
ALANDEP IERSCHAIT IST VORL GOT  
ZVRIAL DEM MELCKEN EN DEP NOT  
CH SALAI ZROT SEH BEPSTUCH I T  
ZROT MEINWATER EN SVIET VADT LOT  
PER BAST HEIT ERSTLET ALDENAN  
DEADVON SEHVALCHIE SEHVAL PE BAI  
ALVIZ K EN GERCHTET AN  
LAVOT ZROT MEINWATER EN DEP NOT

1545

MARTINUS THERIDIS



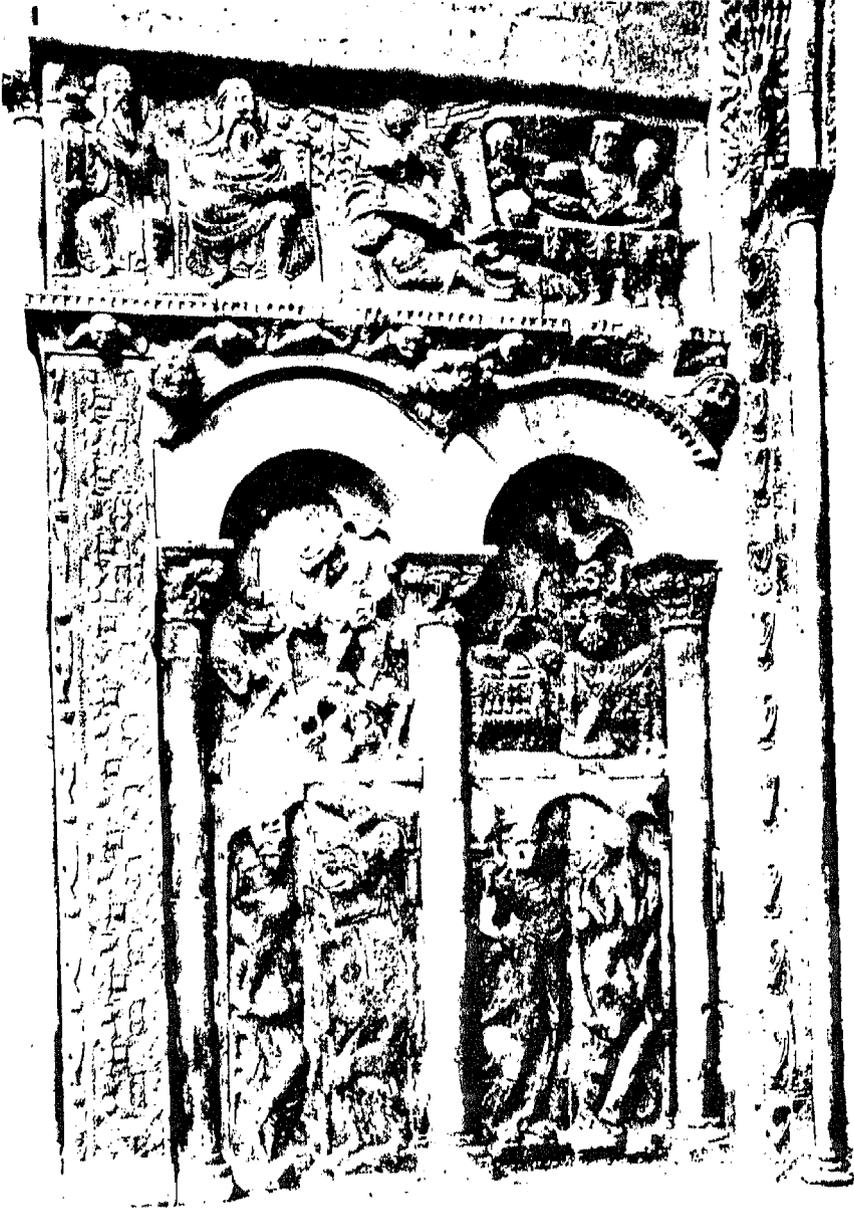
٢ - البابا كرمسيح نجال: ( ماشيور لورك) في هذه الصورة المربعة المهناة الى لوثر ظهر البابا بنيل مع الخصائص الاخرى للشيطان في حين ان الضفادح الصادرة من فمه (مع الزواحف الاخرى) تذكر بوصف المسيح النجال في سفر الرؤيا: ١٦ / ١٣ ، ويسوي احد العناوين الشارحة ايضا بين الصورة ، والرجل الوحشي كما اظهره الدكتور برهمير في دراسته: « كان مخلوقا غريباً ذا قوة مدمرة شديدة ، وهو روح ارضية في الاصل من عائلة البان الهة المقول عند الرومان ( الفون) والهة الغابات عند الاغريق ( ساتير) والمخلوقات التي تحولت الى شياطين مرعبة ، وقد اعطى لورك رجله الوحشي صليبا بابويا وهو ايضا جذع شجرة مثل ذلك الذي حملة القنطور وهو مخلوق خرافي نصبه رجبل ونصفه فرس ، كان بدوره رمز للاهلل.



٣ - يوم الغضب ( البرخت نيورر ) رسم توضيحي للرؤيا: ٦ / ٩ - ١٦ : ... رايت تحت المذبح نفوس الذين ذبحوا من اجل كلمة الرب ، ومن اجل الشهادة التي كانت عندهم ... ونظرت... واذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كدمع من شعر والقمر صار كالدم ، ونجوم السماء صارت الى الارض... وملوك الارض والعظماء والافغنياء والامراء والاقنوياء اخفوا انفسهم في المغاير وفي سفور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا واخفينا عن وجه ذلك الجالس على العرش ، وعن غضب الخروف.



٤- مشهد من القرون الوسطى للقتل الطقوسي لصبي مسيحي  
على يد اليهود ، وهو مثل مدهش للاسقاط على اليهود للصورة  
الخيالية للتعذيب والاب المخصي .



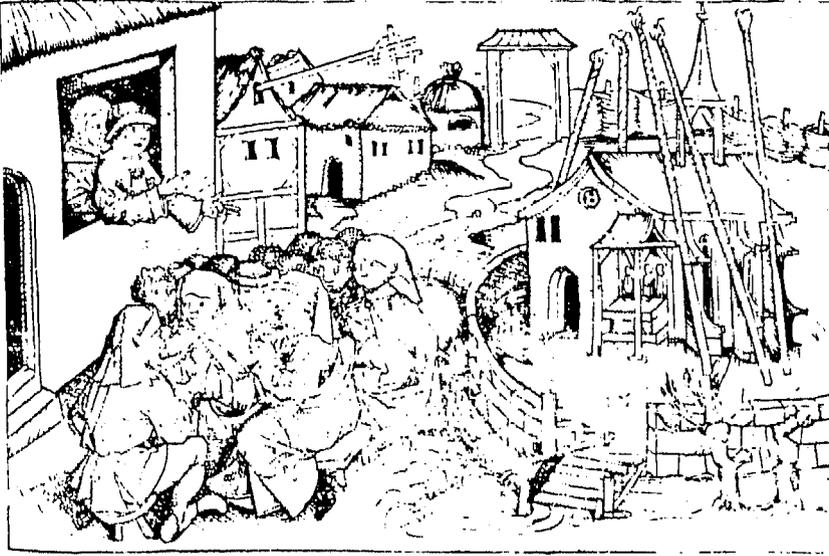
البخل والتترف. فوق البخل يولم ويستمتع في حين يموت على ابوابه وروح التترف يحملها ميلاك الى صدر ابراهيم.  
في الوسط: البخل يموت ويوزن بكيس نقوده ، ويدفع الى الاسفل في الحميم بواسطة الشياطين.  
وفي الاسفل: البخل ويرمز اليه بشيطان والتترف ويرمز اليه بامرأة واقاعي.



٦ - ( أ ) موكب لطامين في ١٣٤٩



٦ - ( ب ) حرق اليهود في ١٣٤٩



٧ - طبال نيكلاسهوزن . الطبال بحثه الناسك او البيغرد ، يقدم  
تعاليمه ، التي كانت في حينه تعطى للحجاج ، وترتكز على الكنيسة  
شموع عملاقة يحملها الفلاحون في مسيرتهم الى ورزبرغ .



٨- الرانتر كما تخيلهم معاصروهم. أن هذا الحفر البدائي والغريب على الخشب يبدو انه يظهر ان التدخين قد وضع بمساواة « الروح الحرة » كتعبير عن تناقض المبادئ .



٩ - جون ليدين كملك : ( هنريش الديغريغر )  
يعتقد ان هذا النقش الدقيق مأخوذ من الحياة في وقت ما بعد  
سقوط مونسستر ، بناء على طلب الاسقف ، ورمزت الكرة  
السلطانية مع السيفين الى ادعاء بوكلسون السيادة على العالم  
روحيا ومدنيا فقد كان احد شعارات بوكلسون : « قوة الرب هي  
قوتي » .

وما زالت رسالة كتبها باللاتينية احد الالفين انفسهم موجودة ، تؤكد ذلك كله بقولها : « ان المستقيمين ... سيبتهجون الآن برؤية الثأر وغسل ايديهم في دماء المذنبين » ولكن اكثر المتطرفين بين الطابوريين مضوا ابعد من ذلك وتمسكوا بأن اي واحد ، من اي مستوى ، لايساعدهم بشكل فعال في تحرير الحقيقة ، والقضاء على المذنبين يكون هو نفسه عضوا في حشود الشيطان ويكون صالحا فقط للابادة بناء على ذلك ، لان ساعة الثأر قد حانت حيث لا يعني التشبه بالمسيح بعد الآن الاقتداء برحمته بل بقضيته وقسوته ورغبته في الثأر ، وكملانكة الرب للثأر ومحاربين عن المسيح على الصفوة المنتخبة ان تقتل الجميع بلا استثناء ، ممن لاينتمون الى جماعتهم» .

وقد زاد من إثارة الالفين تطور الحالة السياسية ففي اذار ١٤٢٠ انتهت الهدنة بين الهوسية المعتدلين والأمبراطور سيغسموند ، وغزا جيش كاثوليكي ، دولي في تركيبه ولكنه ذو غالبية المانية ومجرية ، بوهيميا ولم يقبل التشيك مطلقا من جانبهم سيغسموند ملكا لهم ، وفي الواقع وان لم يكن بالقانون باشرت البلاد فترة من خلر العرش كان لها ان تستمر حتى ١٤٣٦ ، وباشرت ايضا حربا لطرد الغزاة تحت لواء قائد عسكري عبقرى هو جون زكا John Zizka في معركة تلو معركة ، وكان زكا من الطابوريين ، وكان الطابوريون هم الذين حملوا وطأة الصراع ، وعلى الأقل في المراحل الاولى لم يشك اكثرهم تطرفا مطلقا انهم كانوا يعيشون خلال فترة « التحقيق الزماني » والقضاء على كل الشرور .

وراء القضاء على كل الشرور تكمن الالفية ، وكان الناس مقتنعين تماما انه بينما الارض تنظف من المذنبين سيهبط المسيح في « بهاء وسلطان عظيم » ثم تأتي « المائدة المسيحية » التي ستقام

في الجبال المقدسة للطابوريين ، وبعدها سيتولى المسيح المنصب الملكي مكان الامبراطور غير الجدير سيفغسموند وسيحكم العالم الالفي الذي « سيتألق فيه القديسون مثل الشمس في مملكة ابيهم » و « يعيشون مشرقين كالشمس تماما بلا بقع » وسيبتهجون الى الأبد في حالة من البراءة كحالة الملائكة ، او آدم وحواء قبل السقوط ، وستكون هذه الالفية في الوقت نفسه العصر الثالث والأخير للنبوءات اليواكمية ، وفي ذلك العالم لن تكون هناك حاجة للأسرار المقدسة لضمان الخلاص ، وحفظ الكهنة للكتب سيتكشف بطلانه ، وستختفي ( ص ٢١٤ ) الكنيسة نفسها ، وهناك لن يشعر أحد برغبة جسد أو معاناة ، وستحبل النساء دون اتصال جنسي ويحملن اطفالهن بدون ألم ولن يكون المرض والموت معروفين . وهناك سيعيش القديسون معا في مجتمع الحب والسلام ، ولا يخضعون لقانون، متحررين من كل قسر : وسيكون السكان الجدد للفردوس - كما سنرى - تجديدا لوجود حالة المساواة في الطبيعة .

### الشيوعية الفوضوية في بوهيميا

إذا كان إيمان الطابوريين بالأخريات مستمدا بشكل رئيس من اليوحذية والنبوءات اليواكمية ، فإن بعض ملامحها بالتأكيد تذكر بأسطورة العصر الذهبي ، وهذا مدهش بشكل خاص عندما يقوم المرء بفحص التنظيم الاجتماعي للالفية الطابورية ، ويستحيل الحديث عن التأثير الذي ربما تكون قد أحدثته هنا شهرة جون بول بوساطة تعاليم المهاجرين البيكارد أو بوساطة الأتباع المحليين للروح الحرة ، وكانت الأفكار المتفجرة كامنة على أي حال وجاهزة للمساهمة في الأدب التقليدي للتشيك ، ولم يكن ببساطة أن بوهيميا شأنها شأن البلدان الأخرى كانت مسطلة على خيالات حالة الشيوعية الفوضوية الطبيعية إذ كانت هذه التخيلات في بوهيميا قد أخذت أهمية وطنية غريبة ، ومن قبل وأبكر من ذلك بثلاثة قرون

تخيل كوسماس أوف براغ ، المؤرخ البوهيمي الأول ، وصور أول الناس وهم يستوطنون في بوهيميا ، على أنهم يعيشون حالة مجتمع كامل المشاعية : « كأشعة الشمس ، ورطوبة الماء ، هكذا الحقول المحروثة ، والمراعي ليس هذا فحسب بل حتى الزيجات كانت كلها مشتركة .... لأنهم اتباعا لأسلوب الحيوانات باشروا التزاوج لليلة واحدة .... ولم يكن أحد يعرف كيف يقول : « لي » ، ولكن كما في حياة الرهبنة كانوا يقولون عن كل شيء لديهم : « لنا » ، بالقلب واللسان وفي أفعالهم ولم تكن هناك أقفال على أكواخهم ، ولم يقفلوا أبوابهم في وجه المحتاجين ، لأنه لم يكن هناك لاندشالين ولا لصوص ولا فقراء .... ولكن وأسفاه لقد استبدلوا الرخاء بعكسه والملكية المشاعة بالملكية الخاصة .... لأن رغبة التملك كانت تحترق بداخلهم بضاوة تفوق نيران اثناء» وقد خلد المؤرخون المتأخرون هذه الأفكار بين المتعلمين ، وكان ما هو أكثر أهمية ظهور التخييلات نفسها في وقت مبكر في القرن الرابع عشر في تاريخ تشيك رايمد ، وهو عمل بالعامية قدر له أن يبقى شهيرا جدا حتى نهاية العصور الوسطى ، وكان أنذر بطرق عدة بحدوث العاصفة الطابورية ، لأن هناك جرى تصوير مجتمع النعيم التشيكي ( ص ٢١٥ ) القديم ، الذي فقد من زمان طويل وذلك بقصد دعائي ، في محيط هجمات ضارية على التجارة والحضارة الألمانية في المدن ، تماما كما سيفعل بعد ذلك بقرنين ثوار الراين الأعلى في مقارنة الحياة المشاعية المفترضة للألمان القدماء مع طرائق المرابين الشريرة التي أدخلها الألمان ، وإلى أي مدى لونت هذه التخييلات المظهر الاجتماعي والتاريخي للتشيك هذا ما أظهر بوساطة حقيقة أنه عندما أخرجت في القرن الرابع عشر المجموعة القانونية المعروفة باسم الماجستا كارولينى باللغة الدارجة ، جعلت هذه الوثيقة الجليلية تنطق بأنه ليس فقط في الأجيال الأصيلة أو لزمان طويل كانت ملكية كل شيء ، مشتركة ، بل إن تلك العادة كانت هي العادة الصحيحة .

وكما فهم الطابوريون المتطرفون الألفية قدر لها أن تتميز بعودة للنظام الشيوعي الفوضوي المفقود ، وكان لابد من إبطال الضرائب

والقروض والايجارات وكذلك الملكية الخاصة من كل نوع ، وأن لا تكون هناك سلطة بشرية من أي نوع : « وسيعيش الجميع كأخوة ، ولا يخضع أحد لآخر » ، والرّب هو الذي سيحكم ، وستسلم المملكة لأهل الأرض . وحيث أن الألفية ستكون مجتمعا بلا طبقات ، كان التوقع أن المذابح التحضيرية ستأخذ صورة حرب طبقية ضد « العظيم » ، وصورة هجوم أخير ، في الواقع ، على الجشع الحليف القديم للمسيح الدجال .

وكان الطابوريون واضحين تماما في هذه النقطة : « كل اللوردات والنبلاء ، والفرسان سيصرعون ويقضى عليهم في الغصابات كالخارجين على القانون » وأيضا كما كانت الحالة في أراض أخرى في قرون سالفة ، كان فوق كل شيء ، سكان المدن الأغنياء أو ملاك الأراضي الغائبون ، بدلا من النمط القديم من السادة الاقطاعيين ، هم الذين رؤي فيهم صورة الجشع وكان هذا الجشع المدني هو الذي تلهف الطابوريون المتطرفون بشدة لتدميره ، تماما كما كانت المدن التي اقترحوا حرقها إلى الأرض ، حتى لا يدخلها مؤمن مرة أخرى ، وكانت براغ معقل مؤيدي سيغسموند هدف المق الخاص وبتسمية المدينة بابل أظهر الطابوريون بوضوح كاف المعنى الذي ربطوه بمصيرها الوثنيك ، لأن بابل مسقط رأس المسيح الدجال والنظير الشيطاني للقدس ، كانت تعتبر تقليدا تجسيدا للترف والبخل ، وعلى الشكل التالي تنبأ سفر الرؤيا بسقوطها:

« بقدر ما مجدت وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذابا وحزنا .... من أجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الاله الذي يدينها قوي .

وسيبكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون ( ص ٢١٦ ) دخان حريقها واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ، ويل ، المدينة العظيمة بابل المدينة القوية ،

لانه في ساعة واحدة جاءت دينونتك ، ويبيكي تجار الارض وينوحون عليها لأن بضائعهم لا يشتريها أحد فيما بعد .... »

وبعد هذا يظهر المسيح المحارب في السموات على رأس جيش من الملائكة ليشن الحرب على المسيح الدجال وليقيم الألفية على الأرض .

وبعدما ينفذ التطهير العظيم ويتم تجديد المجتمع الكامل فوق التراب البوهيمي ، على القديسين أن يمضوا لغزو بقية العالم والسيادة عليه ، « لأنهم الجيش الذي أرسل إلى كل العالم لحمل وباء الانتقام وإيقاع الثأر في كل الأمم ومدنها الكبيرة والصغيرة ومحاسبة كل شعب يقاومهم .

وبعد ذلك تخدمهم الملوك ، وكل أمة لاتخدمهم ستتدمر ، « وسيدوس أبناء الله على أعناق الملوك وسيعطون كل الممالك الموجودة تحت السموات » .

ولقد كانت اسطورة اجتماعية بالغة القوة ، وواحدة مما تعلق به بعض المتطرفين لسنوات عديدة ، حـــــــلال  
أشد المحن تثبيطا وإن المجيء الثاني قد يتأخر إلى أجل غير مسمى ، وقد يبقى النظام الاجتماعي التقليدي دون تغيير ، وكل فرصة حقيقية لثورة مساواتية قد تختفي ، لكن هذه التخيلات ما برحت تتردد ، وفي وقت متأخر يعود إلى ١٤٣٤ نجد متكلما في اجتماع للطابوريين يعلن ، انه كيفما كانت الأحوال غير مواتية في الوقت الراهن ، فإنه ستأتي اللحظة حالا حيث يجب أن تهب النخبة وتبيد أعداءهم ، وهم السادة في المقام الأول ، ثم أيا من شعبهم ممن يشك في ولائه أو نفعه ، وما أن يجري ذلك ، وبوهيميا تحت سيطرتهم التامة ، فإنهم سيتقدمون بأي تكاليف من الدماء المسفوكة ، ليغزوا أولا الأراضي المجاورة ثم كل الأراضي الأخرى ، « لأن هذا ما فعله الرومان ، وبهذه الطريقة سادوا العالم كله » .

وفي التطبيق كانت خطة نظام الشيوعية الفوضوية على اتساع

العالم قد قوبلت بنجاح محدود جدا ، وفي وقت مبكر في ١٤٢٠ وضعت خزائن مشتركة في بعض المراكز تحت سلطة كهنة الطابوريين ، وباع الوف من الفلاحين والحرفيين في كل أنحاء بوهيميا ومورافيا كل حاجياتهم ودفعوا العائدات للخزائن فلقد انفصل هؤلاء الناس تماما عن حياتهم القديمة إلى حد أنهم كثيرا ما أحرقوا بيوتهم وما حولها إلى الأرض ، والتحق العديد منهم بجيوش الطابوريين ليعيشوا مثل البدو الذين لملكية لديهم من المحاربين عن المسيح ، حياة تشبه في غزابتها حياة فقراء الحملات الصليبية الخشنة، ولكن كان هناك أيضا العديد ممن توطنوا في المدن التي كانت معاقل للطابوريين وشكلت ما أريد منه أن يكون مجتمعات مساواة ، تجمعها معا المحبة الأخوية وحدها ، ( ص ٢١٧ ) ولاتعرف شيئا عن « لي ولك » .

وقد تشكل أول هذه المجتمعات في أوائل ١٤٢٠ في بيسيك في جنوب بوهيميا وظهر الثاني إلى الوجود في شباط ١٤٢٠ بعد وقت قصير من إخفاق المسيح في العودة إلى الأرض حسبما تم التنبؤ وكان متوقعا ، واستولت قوة من الطابوريين والفلاحين بقيادة كهنة من الطابوريين على مدينة أوستي على نهر لوزنيكا ، وبعد بضعة أيام تحركوا إلى مرتفع داخل في النهر على شكل نتوء ، كان يشكل حصنا طبيعيا ، وكان كل ذلك في جوار التل الذي أطلق عليه في السنة السالفة اسم جبل طابور ، وأعيد الآن تسمية الحصن باسم طابور أيضا ، وفي آذار تخلى القائد العسكري جون ززكا عن مركز قيادته في بلزن وانتقل إلى طابور مع كل طابوريي بلزن ، وهزم السادة الاقطاعيون المحليون بسرعة في سلسلة من الهجمات المفاجئة وأصبح الجوار كله تحت سيطرة الطابوريين

وخلال ١٤٢٠ و ١٤٢١ كانت طابور وبيسك المعقلين الرئيسيين لحركة الطابوريين ، ولكن طابور هي التي أصبحت موطن الجناح الأكثر الفية وتطرفا في الحركة ، وقد هيمن عليه في البداية أكثر الناس فقرا ، وقد استهلوا العصر الذهبي الجديد بقولهم : « بما أن

« لي ولك » لوجود لهما في طابور ، بل إن كل الممتلكات مشتركة ، يجب أن يمتلك كل الناس دائما كل شيء بصورة مشتركة ، ويجب أن لا يملك أحد أي شيء لنفسه ، وكل من يملك ملكية خاصة يرتكب خطيئة مميتة .

ومن سوء حظ تجربتهم الاجتماعية ، كان الثوريون الطابوريين مشغولين جدا بالملكية المشتركة إلى حد أنهم أغفلوا تماما امر الحاجة للانتاج ، حتى لقد بدا أنهم اعتقدوا أنه مثل آدم وحواء في الجنة ، سيعفى المقيمون في المجتمعات المثالية الجديدة من كل حاجة للعمل ، بيد أنه إذا لم يكن مدهشا أن تلك التجربة المبكرة في الشيوعية التطبيقية كانت قصيرة العمر ، فإن الطريقة التي انتهت بها ماتزال تستحق بعض الانتباه ، وكان اتباع الروح الحرة عادة يعتبرون أنفسهم مخولين بالسرقه والسلب والآن فإن نفعيين مشابهين جدا لهم ، ولكن على نطاق أكبر بكثير، قد تبنتهم تلك المجتمعات الطابورية ، وعندما نفذت اموال الخزائن المشتركة أعلن المتطرفون أنهم « كرجال شريعة الرب » ، مخولون بأخذ كل ما يخص أعداء الرب ، وعنوا في البداية الاكليروس والنبالة والأغنياء بشكل عام ، ولكن سرعان ما شمل هذا كل من ليس من الطابوريين ، ومن حينه فصاعدا ، إلى جانب أو مع الحملات الرئيسية التي شنت بقيادة ززكا ، جرت حملات كثيرة ، كانت ببساطة غارات نهب .

وهكذا شكوا الطابوريون الاكثر اعتدالا في مجالسهم بقولهم : إن كثيرا من المجتمعات لم تفكر ابدا في كسب معايشها بعمل أيديها ، ولكنها تريد فقط ان تعيش على ممتلكات الناس الاخرين ، و أن تقوم بحملات ظالمة من أجل الهدف الوحيد وهو السرقة ، ( ص ٢١٨ ) وقام عدد كبير من الطابوريين المتطرفين وهم يمتنون طرق الاغنياء المترفين ، فصنعوا - تماما مثل بعض اتباع الروح الحرة - لانفسهم حللا ذات ابهة ملكية حقيقية ، كانوا يرتدونها تحت اربديتهم الكهنوتية .

لقد عانى الفلاحون المحليون كثيرا ، وكانت اقلية فقط من بين الفلاحين الذين كانوا يدينون بالولاء للنظام الطابوري هي التي باعت ممتلكاتها والتحقت بجماعة النخبة ، لكن في ربيع ١٤٢٠ ، مع دفقة الحماس الثوري الاولى ، اعلن الطابوريون ابطال العلاقات الاقطاعية والقروض والخدمات ، فأسرع العديد من الفلاحين طبقا لذلك ليضعوا انفسهم تحت حماية النظام الجديد ، إنما خلال نصف سنة كان لديهم سبب جيد للأسف على قرارهم ، ومع تشرين اول ١٤٢٠ كان الطابوريون مدفوعين بفعل مأزقهم الاقتصادي الى البدء بجمع القروض من الفلاحين في النواحي التي اداروها ، ولم يمض بعد ذلك زمان طويل حتى تزايدت القروض بدرجة كبيرة ، حتى أن العديد من الفلاحين وجدوا انفسهم أسوأ مما كانوا عليه في ظل سادتهم السالفين .

ومرة اخرى كان مجلس الطابوريين المعتدلين هو الذي ترك اكثر الاوصاف إثارة للدهشة ، بالشكوى من أن تقريبا جميع الطوائف كانت تنهك عامة الناس في الجوار بطريقة غير انسانية تماما ، وتضطهدهم كالطغاة والوثنيين ، وينتزعون الايجار بلا شفقة حتى من اكثر المؤمنين اخلاصا ، وإنه مع أن بعض هؤلاء الناس من عقيدتهم نفسها فانهم يتعرضون لآخطار الحرب نفسها وهم في جانبهم تساء معاملتهم بقسوة كما أنهم يسلبون ايضا من قبل الأعداء ، وكانت محنة هؤلاء الفلاحين الذين حصروا بين الجيوش المتحاربة شديدة ، ومع تأرجح أحوال الحرب من الجانب الآخر ، كان عليهم أن يؤديوا الفروض مرة للطابوريين ، ومرة لسادتهم الاقطاعيين القدامى ، وعلاوة على ذلك كانوا يعاقبون من كلا الجانبين باستمرار لتعاونهم ( حتى لو كان ذلك بالاكراه ) مع الأعداء ، من قبل الطابوريين لانهم تحالفوا مع الطغاة ، ومن قبل الكاثوليك لانهم « اصدقاء المهرطقين » ، وبينما هم تحت سيادة الطابوريين كانوا يعاملون من قبل من يدعون بالاخوة كأننى انواع العبيد ، والفروض تنتزع منهم بواسطة « رجال قانون الرب » بتهديدات مثل : « اذا لم تطع قاننا سنجبرك بعون الله بكل وسيلة

وخاصة بالثار ، على تنفيذ اوامرنا ، ومع ان الطابوريين قد تحددوا النظام الاقطاعي بفعالية لم يكونوا يحلمون بها انذاك ، فسان المشكوك فيه مدى استفادة الفلاحين البوهيميين ، وبالتأكيد في وقت انتهاء الحرب كانه الفلاحون اضعف والنبلاء ، اقوى من قبل ، وباتت العبودية من اشد الانواع ارهاقا ، يمكن ان تطبق عليهم عندئذ بسهولة كافية ( ص ٢١٩ ) .

وحتى ضمن طابور نفسها تم التخلي عن تجربة الشيوعية الفوضوية بسرعة ، وايا كانت كراهية المجريين في القيام باي عمل ، فانهم كانوا لا يستطيعون العيش بدونه ، وبسرعة كان الحرفيون ينظمون انفسهم في نظام من النقابات شبيهة بتلك الموجودة في المدن البوهيمية الاخرى ، وفوق كل شيء من اذار ١٤٢٠ ومابعده كان الطابوريون منهمكون في الحرب الوطنية ضد الجيوش الغازية ، ولأشهر عديدة كانوا في الواقع يساعدون الهوسية من غير الطابوريين في براغ في الدفاع عن العاصمة ، ولم يكن ممكنا حتى بالنسبة للجيش الطابوري ان يعمل بدون قيادة هرمية ، وفي مجرى الاحداث عمل ززكا ، الذي لم يكن من دعاة المساواة ولادعاة الالفية ، عمل على ان تكون المواقع القيادية محفوظة لرجال ، جاءوا مثله من النبالة الادنى ، وكان كل ذلك يميل الى ترطيب نار الكهنة الطابوريين ، وفي الوقت الذي عادوا فيه الى طابور في ايلول ، كانوا اقل اهتماما بالالفية منهم بانتخاب « اسقف » يشرف عليهم ويدير اموالهم ، ومع ذلك لم ينبذ السعي وراء العصر الذهبي بدون صراع ، وبينما كان المزيد والمزيد من الطابوريين يستعدون لتكليف انفسهم مع المقتضيات الاقتصادية للحرب ، والترتيب الطبقي ، الذي لم ينم عن اي علامة على الانهيار ، استجابات اقلية بتطوير صور جديدة من العقيدة الالفية .

وطور الواغت مارتن هسكا وقد هم جزئيا من قبل البيكارتي المهاجرين ، مذهبها الى الاسرار المقدسة كان يمثل انفصالا كلياً عن الافكار الطابورية المعتادة، وتقاسم ززكا والعديد من الطابوريين

الآخرين مع المؤمنين بنوعي القربان في براغ تمجيدا عميقا للاسرار المقدسة على انها الجسد والدم للمسيح ، وعندما كانوا يخرجون للقتال كان كأس نبيذ القربان المثبت على عمود يحمل في المقدمة كعلم ، ورفض هوسكا من جانب اخر استحالة خبز القربان وخرمه الى جسد ودم المسيح وفسر بدلا من ذلك عملية مناولة كان لها في المقام الاول دلالة وليمة حب تجرب تحضيرا «د للمأدبة المسيحية» التي قدر للمسيح العائد ان يولها مع نخبته ، ومن اجل نشر مثل هذه الافكار خارج البلاد احرق حتى الموت في أب /١٤٢١ ،

لقد انتشرت هذه الافكار الى طابور نفسها ، وفي وقت مبكر في ١٤٢١ كان بضع مئات من المتطرفين ، الذين اعطوا اسم بيكارتى ، نشطين هناك تحت زعامة كاهن يدعى بيتر كانيس وسببوا كثيرا من النزاع ، حتر غادروا المدينة في شباط او طردوا منها ، وكان معظمهم ببساطة يتقاسم مع هسكا افكاره حول القربان المقدس ولكن كان بينهم بعض المتطرفين - ربما حوالي ٢٠٠ - من الذين حملوا مذهب الروح الحرة في صورته الاكثر نضالية ، وكان هؤلاء هم الناس الذين قدر لهم ان يصـبـحوا مشهورين في التاريخ تحت اسم الادامايت البوهيميين . وكانوا يعتقدون ان الرب يتوطن في قديسي الايام الاخيرة ، اي في انفسهم ، وان هذا هو ماجعلهم اسـمى من المسيح ، الذي يموته اظهر نفسه بأنه مجرد بشر ، واحلوا بذلك انفسهم من الانجيل ، والعقيدة وحفظ الكتب ، مكتفين بالصلاة التي تمضي هكذا : «ابانا الذي فينا ( ص ٢٢٠ ) ، نورنا بما يجب ان نفعل ...» وكانوا يتمسكون بان الجنة والنار لوجود لهما سوى في نفوس الصالحين والضالين على التوالي ؛ واستخلصوا بانهم لكونهم من الصالحين فانهم سيعيشون الى الابد كسكان في الالفية الارضية .

وقطع زكا حملة كان يتولاها بغية التعامل مع الادامايت وفي نيسان ١٤٢١ اسر نحو خمسة وسبعين منهم بما فيهم كانيس واحرقتهم كمهرطقين ، وسار بعضهم وهم يضحكون في اللهب .

ووجد الناجون قائدا جديدا في احد الفلاحين او ربما الحدادين ،  
واسموه معا : ادم وموسى وكان المفترض انه مخول بحكم العالم ،  
ويبدو انه كان هناك ايضا امرأة ادعت انها العذراء مريم ، ومن اجل  
البقية يقال : ان الادمائيت قد عاشوا تماما مثل اتباع الروح الحرة  
في حالة من الاشتراك غير الشرطي ، الى درجة ليس فقط ان مامن  
احد املاك شذيا خاصا به بل ان الزواج المحصور عد خطيئة ، وبينما  
كان الطابوريين بشكل عام احاديين في الزواج بشكل صارم ، يبدو ان  
الحب الحر كان هو القاعدة بين صفوف هذه الزمرة ، وعلى اساس  
متانة تعليقات المسيح حول البغايا واصحاب الخانات ، اعلن  
الادمائيت ان الانسان العفيف غير اهل لدخول مملكتهم المسيحية ،  
ومن جانب اخر لم يكن بإمكان اي زوج ممارسة الاتصال الجنسي  
بدون موافقة « ادم - موسى » ، الذي كان يباركهم قائلا « اذهبوا  
وكونا مثمريين وتكاثرا واعيدا اعمار الارض » ، وكانت هذه الزمرة  
معتادة جدا على الرقصات الطقوسية العارية التي كانت تعقد حول  
نار ومصحوبة بانشاد التراتيل ، وفي الواقع يبدو هؤلاء الناس قد  
امضوا كثيرا من اوقاتهم عراة متجاهلين الحر والبرد ، مدعين انهم  
في حالة من البراءة التي تمتع بها ادم وحواء قبل السقوط .

وعندما كان زركا يلاحق البيكارتي ، التجأ هؤلاء الفوق فوضيون  
الى جزيرة في نهر انزاركا بين فيزلي وجندريشوف -رادك (   
نيوهاوس ) ومثل الطابوريين الاخرين اعتبر الادمائيت انفسهم  
ملائكة منتقمين ، وكانت مهمتهم ان يستخدموا السيف في العالم كله  
حتى يقضى على غير الطاهرين .

واعلنوا ان الدم يجب ان يغمر العالم حتى ارتفاع رأس الحصان  
وعلى الرغم من عددهم الصغير عملوا ما في وسعهم لتحقيق هذا  
الهدف ، ومن معقلهم في الجزيرة كانوا يقومون بغارات ليلية مدمرة  
- سموها حربا مقدسة - ضد القرى المجاورة ؛ وفي تلك الحملات  
وجدت مبادئهم الشيوعية وشبهوتهم للتدمير تعبيرا ، وكان  
الادمائيت الذين لم تكن لديهم ممتلكات خاصة بهم يمتلكون كل شيء

يمكنهم ان يضعوا ايديهم عليه وفي الوقت نفسه كانوا يشعلون النار ( ص ٢٢١ ) في القرى ويبيدون او يحرقون احياء كل رجل ، او امرأة او طفل يمكنهم ان يجذوه : وسوغوا ذلك بشواهد من الكتابات المقدسة مثل : « وفي منتصف الليل كانت هناك صرخة ، انظروا العريس قادم .... » ومن ثم كانوا يذبحون الكهنة الذين اعتبروهم شياطين مجسدة بحماس خاص وفي النهاية ارسل ززكا قوة من ٤٠٠ جندي مدرب ، تحت قيادة احد كبار ضباطه ، لوضع نهاية للاضطراب ، ودون قلق اعلن « ادم - موسى » ان العدو سيضرب بالعمى في ارض المعركة ، حتى ان حشدا كاملا سيكون تماما بلا حول ، في حين ان القديسين اذا صمدوا الى جواره سيكونون معصومين من الضرر ، وصدق اتباعه واعدوا المتاريس على جزيرتهم ودافعوا عن انفسهم بطاقة هائلة وشجاعة ، وقتلوا العديد من المهاجمين ، وفي ٢١ تشرين اول ١٤٢١ سحقوا اخيرا وابيدوا عن بكرة ابيهم ، واستبقى رجل واحد باوامر ززكا ، حتى يعطي بيانا كاملا عن عقائد وممارسات الطائفة ، وسجلت شهادته بصورة وافية في حينه و قدمت للدراسة من قبل هيئة كلية لاهوت اتراكويست في براغ ، وقد احرق هو نفسه بعد ذلك ، واغرق رماده في النهر ، وهو احتياط يوحى بقوة بسانه لم يكن غير الزعيم المسانحي « ادم - موسى » نفسه .

وفي ذلك الوقت كان حجم الثورة الاجتماعية في بوهميا قد تناقص بالفعل وتقلص بين اهداف الحركة الطابورية ، وفي السنة التالية وضعت ثورة مضادة نهاية لهيمنة الحرفيين في براغ ، وبعد ذلك ، - مع ان الكلام عن الثورة قد يستمر - اخذت القوة الفعالة تتجمع بصورة متزايدة مع النبالة ، ولكن وراء الجبهات كانت تعاليم ومثل الثوار البوهيميين مستمرة التأثير والفعالية بين الفقراء غير الراضين وقال احد المؤرخين من الخصوم : « اصبح البوهوميون الان اقوياء جدا وجبارين ، ومتغربين ، حتى انهم كانوا موضع خشية على كل الجوانب ، وكان كل الناس ، الاشرفاء متخوفين لئلا ينتشر الخبث و تنتقل الفوضى الى الشعوب الاخرى فينقلبوا ضد كل

من كانوا مخترمين وملتزمين بالقانون ، وضد الاغنياء ، لان هذا كان بالضبط الشيء المطلوب للفقراء الذين لم يكونوا يرغبون في العمل وكانوا ايضا متغطرسين ومحبين للمسرات ، وكان هناك العديد مثلهم في كل البلاد ، اناس خشنون ولاقيمة لهم ممن شجعوا البوهيميين على هرطقتهم وعدم ايمانهم بقدر ما كان بوسعهم ، وعندما لم يجرؤوا على فعل ذلك علنا ، كانوا يفعلونه سرا ... وهكذا كان للبوهيميين عدد كبير من المؤيدين السريين الخشنيين من الناس ....

وقد اعتادوا الجدل مع الكهنة ، قائلين ان كل واحد يجب ان يقتسم ملكيته مع كل شخص اخر ، وكان هذا يمكن ان يسر عدا كبيرا من الاتباع عديمي القيمة وان يمضي بشكل جيد جدا .

وفي كل مكان كان يستحوذ على الاغنياء واصحاب المزايا ، والاكليروس والعامية على السواء الخوف من ان يؤدي انتشار نفوذ الطابوريين الى ثورة يمكن ان تقضي على كل النظام الاجتماعي ، وكانت دعوة الطابوريين ( ص ٢٢٢ ) التي لم تهدف الى القضاء على الاكليروس فقط بل على النبالة ، قد تسربت الى فرنسا وحتى اسبانيا ، ووجدت كثيرا من القراء المتعاطفين ، وعندما هب الفلاحون في برغنديا وحول ليون ضد ساداتهم من الاكليروس والمتحكمين بهم من المدنيين عزا الاكليروس الفرنسي تلك الثورات على الفور الى تأثير نشرات الطابوريين ؛ وربما كانوا على صواب ، ولكن حدث في المانيا ان توفرت الفرصة للطابوريين لممارسة التأثير ، لان جيوشهم تمكنت في سنة ١٤٣٠ من التوغل حتى لايبزغ وبامبرغ ونورمبرغ وفي المانيا بلغ القلق اشده ، وعندما قامت النقابات في مينز وبريمين وكودستانس وفايمر وستاتن ضد الاشراف ، القي اللوم على الطابوريين ، وفي عام ١٤٣١ ناشد اشراف المدن المتحالفة معهم ان يتجمعوا معا في حملة صليبية جديدة ضد الهوسية في بوهيما ، وافتوا الانظار الى انه كان هناك في المانيا عناصر ثورية لديها امور كثيرة مشتركة مع الطابوريين ، وسيكون

- ١٧١٤ -

من السهل جدا على الثوار من الفقراء ان ينتشروا من بوهيميا الى المانيا ؛ واذا فعلوا فإن الاشراف في المدن سيكونون بين المعانين الرئيسيين .

وعبر المجلس العام في بازل ، الذي اجتمع في السنة نفسها ايضا عن قلقه من ان يدخل عامة الناس في المانيا في حلف مع الطابوريين ويشرعون في الاستيلاء على املاك الكنيسة . وربما كانت هذه المخاوف متسمة بالمبالغة وسابقة لاوانها ، ولكن بثت مرات عديدة ، وعلى مدى المائة سنة التالية ، انها لم تكن جميعها بلا اساس .